معرفة النبي ﷺ
وأثرها على النصارى المنصفين

بحث من إعداد

د/ محمود بن عبد الرازق

الأستاذ المساعد
بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد .

بشر نبي الله عيسى عليه السلام بمبعث محمد ﷺ ونص على اسمه كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ (١) .

وقد ورد في القرآن أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فلا يخفي عليهم كلامه أو وصفه ، كما ورد في قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۘ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (٢) ، روى في أسباب النزول أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعبد الله بن سلام رضي الله عنه : إن الله أنزل على نبيه وهو بمكة أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، كيف هذه المعرفة يا ابن سلام ؟ قال : نعرف نبي الله بالنعت الذي نعته الله به إذا رأيناه فيكم ، كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه مع الغلمان ، والذي يحلف به عبد الله بن سلام لأنا بمحمد أشد مني معرفة بابني ، فقال له عمر : كيف ذلك ؟ قال : عرفته بما نعته الله لنا في كتابنا أنه هو ، وأما ابني فلا أدري ما أحدثت أمه (٣) .

كما نص القرآن الكريم على أن المصطفي ﷺ موصوف في التوراة والإنجيل بأنه نبي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، وأنه ﷺ جاء داعيا للخير والفضيلة ناهيا عن الشر والرذيلة ، فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (٤) .

---

(١) الصف:٦ .

(٢) البقرة:١٤٦ .

(٣) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ، ١٩٩٧ ، العجاب في بيان الأسباب ، تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس ، الدمام ، دار ابن الجوزي ص٣٩٩ ، السيوطى ، الدر ٧٤/١ ، ابن كثير ، تفسير القرآن ١٩٤/١.

(٤) الأعراف:١٥٧/١٦٥ .

وقد كان معلوما من حاله ﷺ أنه كان أميا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ ، وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم ، ثم أتى بكتاب معجز أخبر فيه عما وقع وحدث من عظائم الأمور ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه ، فذكر قصة آدم عليه السلام وابتداء خلقه وما صار أمره إليه من الخروج من الجنة وتوبته لربه وما كان من أمر ولده ، ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وما كان بينه وبين قومه وما انتهي إليه أمرهم وكذلك أمر إبراهيم عليه السلام إلى ذكر سائر الأنبياء المذكورين في القرآن والملوك والفراعنة الذين كانوا في أيامهم .

ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم ، فقد كان معروفا أنه لم يكن ملابسا لأهل الآثار وحملة الأخبار ولا مترددا إلى التعلم منهم ، ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه علم الوحي ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٥] ، أي قد لبثت في قومك من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمرا لا تقرأ كتابا ولا تحسن الكتابة ، بل كل واحد يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب ، ولو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء [٦] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((بين سبحانه من حاله ما يعلمه العامة والخاصة وهو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه متواترا عند من غاب عنه وبلغته أخباره من جميع الناس أنه كان أميا لا يقرأ كتابا ولا يحفظ كتابا من الكتب لا المنزلة ولا غيرها ، ولا يقرأ شيئا مكتوبا لا كتابا منزلا ولا غيره ، ولا يكتب بيمينه كتابا ولا ينسخ شيئا من كتب الناس المنزلة ولا غيرها)) [٧] .

وهكذا كان رسول الله ﷺ دائما على طول البعثة نبيا أميا لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرا ولا حرفا بيده ، بل كان له كتاب يكتبون بين يده الوحي والرسائل إلى الأقاليم .

ومن العجب أن تشهد الأناجيل على اختلاف أنواعها إلى يومنا هذا – على الرغم من تحريفها وعدم اتصال سندها إلى عيسى عليه السلام – تبقى بشهادتها حجة على جميع النصارى في

---

(٥) العنكبوت:٤٨ .

(٦) انظر بتصرف : ابن القاسم ، إعجاز القرآن ٣٤/١ ، وابن كثير ، تفسير القرآن ٤١٨/٣ .

(٧) ابن تيمية ، الجواب الصحيح ٣٣٨/٥ .

العالم تثبت معرفتهم للنبي ﷺ ، وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولذلك فإن الله عز وجل أخبرنا عن عموم النصارى دون تخصيص أنهم يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ﴾ (٨) .

وهذا البحث المسمى : (معرفة النبي ﷺ وأثرها على النصارى المنصفين) يتناول هذه القضية بصورة تكشف عن الحقيقة وتجليها ، وقد قسمته بعد المقدمة إلى مبحثين وخاتمة :

المبحث الأول : كيف يعرف نصارى اليوم محمدا ﷺ ؟

المبحث الثاني : أثر معرفة النبي ﷺ على النصارى المنصفين .

الخاتمة : وفيها شبهة وجوابها .

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ، وأن ينير به السبيل لمن أراد أن ينجو بنفسه في الدنيا والآخرة ، فالأيام زائلة والمتاع مهما بلغ فيها قليل ، وليس أمام العاقل من سبيل سوى أن يرجع إلى ربه مستغفرا من ذنبه ، مؤمنا بكل ما ثبت من الوحي الإلهي ، وقد صدق الله تعالى في قوله : ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩ ﴾ (٩) .

الباحث

(٨) البقرة:١٤٦ .

(٩) آل عمران:١٩٩ .

المبحث الأول

كيف يعرف نصارى اليوم محمدا ﷺ ؟

كل يوم تزداد دلائل النبوة ويقوم الدليل والبرهان على إعجاز ما ورد في القرآن ، فهذا الكتاب الذي أوحاه الله إلي النبي الأمي باللغة العربية يزداد إعجازه بزيادة المعرفة الإنسانية ، هذا فضلا عن الحفاظ على نصه إلى الآن دون تغيير أو تبديل ، فهذه ميزة لم تتوفر لما سبق من الكتب السماوية ، لأن الله تكفل في عليائه بحفظه وبقائه إلى يوم الدين فقال جل جلاله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (١٠) ، وقد جعل الله تعالى بين سور القرآن وآياته وحروفه وكلماته جعل من الأسرار ما يدل باستمرار على أنه الحق ، فكل يوم تتجدد شواهد البحث العلمي وتنطق بصدق الوصف القرآني في تقرير الحقائق وإثباتها ، وكما قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ ﴾ (١١) .

والموضوع الذي يطرح نفسه في هذا المبحث الوجيز هو شهادة النصوص في أناجيل نصارى اليوم بصدق ما ورد في التنزيل على محمد ﷺ سواء كان الوحي قرآنا أو سنة ، فالدليل في الإنجيل قائم على أن النصارى يعرفون محمدا ﷺ كما يعرفون أبناءهم .

فقد لفت نظري وأنا أقرأ أناجيل النصارى في هذا العصر أن نصوصا كثيرة فيها وردت بمعانيها أو كثير من ألفاظها في القرآن الكريم أو السنة النبوية ، حتى إن القارئ العادي في بعض المواضع منها يحكم بلا تكلف ولا عناء أن النصين قد نزلا من السماء وخرجا من مشكاة واحدة ، غير أنه يدرك بقليل من المقارنة أن هذه الأناجيل بالفعل حكاية تاريخية عن الإنجيل الحق حملت بقايا منه في ثنايا التغيير والتبديل الذي أدخله كتابها ، بل إن النصراني الذي يحفظ هذه النصوص الموجودة حتى الآن ، ويسمع ما ورد في القرآن يعرف محمدا ﷺ كما يعرف ولده دون أن يراه ، يعرفه بأسلوبه ونظامه وطريقة كلامه ، تماما كما ورد في

(١٠) الحجر:٩ .
(١١) فصلت:٥٣ .

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ﴾ (١٢) .

ولما كان محمد ﷺ نبيا أميا لم يطلع على هذه الأناجيل أو غيرها من كتب التنزيل بإقرار المنصفين من الباحثين وسائر المتخصصين السابقين والمعاصرين ، فالنتيجة الضرورية التي تظهر للعقلاء من الناس دون غموض أو التباس هي الإقرار بنبوة محمد ﷺ والإيمان به .

وقد انتقيت من الأناجيل بعض الأدلة على سبيل التمثيل ، التي تدل بلا تكلف ولا تأويل على أن كثيرا من النصارى في هذا العصر يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم ، هذه الوجوه بقيت بقدرة الله حتى الآن شاهدا متجددا على صدق ما ورد في القرآن ، وسوف أذكر منها في هذا المبحث عشرة نصوص واضحة البيان يقوم بها الدليل والبرهان بمجرد النظر والمقارنة دون تأويل أو تحميل للنصوص مالا يطاق ، وإن كانت الشواهد على الموضوع في الأناجيل أكثر من ذلك إلا أنى اكتفيت بهذه العشرة لأنها تفي بالمراد .

النص الأول : البيت المؤسس على الصخر .

ضرب الله مثلا لقوة الإيمان ونبذ الكفر ببيت بناه صاحبه وأسسه على الصخر فقاعدته محكمة وأرضه متينة ، أهو خير أمن أسس بيته على قاعدة ضعيفة وأرض رملية واهية ، لو سار بجوارها الماء أو نزل عليها من السماء انهار البيت بمن فيه ؟ هذا المثل ورد في إنجيل متى بالنص التالي :

((فَأَيُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ حَكِيمٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ ، فَنَزَلَتِ الأَمْطَارُ ، وَجَرَتِ السُّيُولُ ، وَهَبَّتِ العَوَاصِفُ ، فَضَرَبَتْ ذَلِكَ البَيْتَ ، فَلَمْ يَسْقُطْ لأَنَّهُ مُؤَسَّسٌ عَلَى الصَّخْرِ ، وَأَيُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا ، يُشَبَّهُ بِرَجُلٍ غَبِيٍّ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ ، فَنَزَلَتْ الأَمْطَارُ ، وَجَرَتْ السُّيُولُ ، وَهَبَّتِ العَوَاصِفُ ، فَضَرَبَتْ ذَلِكَ البَيْتَ ، فَسَقَطَ وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيماً)) (١٣) .

وورد أيضا في إنجيل لوقا بالنص التالي : ((كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ فَيَسْمَعُ كَلاَمِي وَيَعْمَلُ بِهِ أُرِيكُمْ مَنْ يُشْبِهُ ، إِنَّهُ يُشْبِهُ إِنْسَاناً يَبْنِي بَيْتاً فَحَفَرَ وَعَمَّقَ وَوَضَعَ الأَسَاسَ عَلَى الصَّخْرِ ، ثُمَّ

(١٢) البقرة:١٤٦ .

(١٣) إنجيل متى الإصحاح السابع ٢٤:٢٧ .

هَطَلَ مَطَرٌ غَزِيرٌ وَصَدَمَ السَّيْلُ ذلِكَ الْبَيْتَ فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُزَعْزِعَه ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّساً عَلَى الصَّخْرِ ، وَأَمَّا مَنْ سَمِعَ وَلَمْ يَعْمَلْ فَهُوَ يُشْبِهُ إِنْسَاناً بَنَى بَيْتاً عَلَى الأَرْضِ دُونَ أَسَاسٍ ، فَلَمَّا صَدَمَهُ السَّيْلُ انْهَارَ فِي الْحَالِ وَكَانَ خَرَابُ ذلِكَ الْبَيْتِ جَسِيما)) (١٤) .

فانظر إلى منتهي البلاغة ودقة الصياغة في قوله تعالى في القرآن : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (١٥) ، فالتأسيس إحكام أس البناء وهو أصله ، فهل المؤسس بنيانه على طاعة الله وتقواه والعمل في مرضاته خير أم المؤسس بنيانه على الكفر والفسوق والعصيان المؤتمر بأمر الشيطان ؟ ومعنى الشفا في الآية ما لا يستقر ويثبت من الأرض كالحرف والحد ، والجرف هو جرف الوادي وجانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا ، والهار المتصدع الذي أوشك على التهدم والسقوط (١٦) .

هذا المثل الذي ورد وحيا من عند الله إلى النبي الأمي الذي لا يعرف قراءة ولا كتابة تشهد به أناجيل النصارى اليوم على اختلاف طوائفهم ، فلينظر من له عينان المثلان متطابقان ولا فرق بينهما إلا من حيث بلاغة الصياغة في القرآن ودقة اللفظ والبعد عن الحشو فتأمل وقارن .

النص الثاني : فضل من عاد مريضا أو أطعم مسكينا .

أخبرنا الله تعالى أنه يأتي يوم القيامة لفصل القضاء ، ومعه الملائكة في خشية لا يتكلمون إلا بإذنه ، وهو سبحانه وتعالى على عرشه ، والعرش تحمله الملائكة ، والناس موقوفون في أرض المحشر للعرض والحساب ، فقال تعالى :

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ (١٧) ، وقال : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (١٨) ، وقال أيضا : ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ

(١٤) إنجيل لوقا الإصحاح السادس ٤٩:٤٧ .

(١٥) التوبة:١٠٩ .

(١٦) انظر بتصرف : النسفي ، أبو البركات عبد الله ابن أحمد ، تفسير القرآن ١١٠/٢ ، والواحدي : أبو الحسن على بن أحمد ١٤١٥هـ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق صفوان عدنان ، دمشق ، الدار الشامية ، ٤٨٢/١ .

(١٧) الفجر:٢٢ .

(١٨) النبأ:٣٨ .

وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (١٩) ، كما أخبرنا الله تعالى في غير موضع من القرآن أنه يفرق بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، فمن ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٢٠) .

ويبين الله يوم القيامة فضل من عاد مريضا أو أطعم مسكينا أو سقاه شربة ماء ، وأن أجر ذلك يقع عند الله عند فصل القضاء ، فمن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قال : (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَال يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالِمِينَ ؟ قَال : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لوْ عُدْتَهُ لوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، قَال يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالِمِينَ ؟ قَال : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لوْ أَطْعَمْتَهُ لوَجَدْتَ ذَلكَ عِنْدِي ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي ، قَال : يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالِمِينَ ؟ قَال : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلكَ عِنْدِي) (٢١) .

وبمجرد النظر والمقارنة بين النصوص السابقة وبين ما ورد في الإنجيل يتضح للناظر ما طرأ عليها من تغيير وتبديل ، ومقدار التطابق بين المنهجين ، والدلالة على نبوة النبي الأمي ﷺ ، ففي إنجيل متى ورد النص التالي :

((وَعِنْدَمَا يَعُودُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَمَعَهُ جَمِيعُ مَلاَئِكَتِه فَإِنَّهُ يَجْلِسُ عَلى عَرْشِ مَجْدِه وَتَجْتَمِعُ أَمَامَهُ الشُّعُوبُ كُلُّهَا فَيَفْصِلُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ كَمَا يَفْصِلُ الرَّاعِي الغَنَمَ عَنِ المِعَازِ ، فَيُوقِفُ الغَنَمَ عَنْ يَمِينِهِ وَالمِعَازِ عَنْ يَسَارِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ المَلِكُ للذِينَ عَنْ يَمِينِهِ : تَعَالَوْا يَا مَنْ بَارَكَهُمْ أَبِي ، رِثُوا المَلَكُوتَ الذِي أُعِدَّ لكُمْ مُنْذُ إِنْشَاءِ العَالمِ ، لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي

(١٩) الحاقة:١٧/١٨ .

(٢٠) الواقعة:٢٧/٤٤ .

(٢١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة برقم (٢٥٦٩) .

عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي كُنْتُ غَرِيباً فَآوَيْتُمُونِي ، عُرْيَاناً فَكَسَوْتُمُونِي ، مَرِيضاً فَزُرْتُمُونِي ، سَجِيناً فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ ! ، فَيَرُدُّ الأَبْرَارُ قَائِلِينَ : يَا رَبُّ ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً فَأَطْعَمْنَاكَ ، أَوْ عَطْشَاناً فَسَقَيْنَاكَ ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيباً فَآوَيْنَاكَ ، أَوْ عُرْيَاناً فَكَسَوْنَاكَ ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضاً أَوْ سَجِيناً فَزُرْنَاكَ ؟

فَيُجِيبُهُمُ المَلِكُ : الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلتُمْ ذَلكَ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الصِّغَارِ فَبِي فَعَلتُم ْ! ثُمَّ يَقُولُ للذِينَ عَنْ يَسَارِهِ : ابْتَعِدُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ المُعَدَّةِ لِإِبْلِيسَ وَأَعْوَانِهِ ، لأَنِّي جُعْتُ فَلمْ تُطْعِمُونِي وَعَطِشْتُ فَلمْ تَسْقُونِي ، كُنْتُ غَرِيباً فَلمْ تَأْوُونِي عُرْيَاناً فَلمْ تَكْسُونِي ، مَرِيضاً وَسَجِيناً فَلمْ تَزُورُونِي ، فَيَرُدُّ هَؤُلاَءِ أَيْضاً قَائِلِينَ : يَارَبُّ ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً أَوْ عَطْشَاناً أَوْ غَرِيباً أَوْ عُرْيَاناً أَوْ مَرِيضاً أَوْ سَجِيناً وَلَمْ نَخْدِمْكَ ؟ فَيُجِيبُهُمْ الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلكَ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الصِّغَارِ فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا ! فَيَذْهَبُ هَؤُلاَءِ إِلى العِقَابِ الأَبَدِيِّ وَالأَبْرَارُ إِلى الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ)) (٢٢) .

فتأمل قول كاتب الإنجيل : ((يَعُودُ ابْنُ الإِنْسَانِ)) ((تَعَالوْا يَا مَنْ بَارَكَهُمْ أَبِي)) وقارن مع نصوص القرآن والسنة ، يتضح أن الإنجيل الأصلي لم ترد فيه هذه الألفاظ ، لأن النصوص خرجت من مشكاة واحدة ، فتأمل هذه المواضع (فِي مَجْدِهِ وَمَعَهُ جَمِيعُ مَلاَئِكَتِه) : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢٣) ، (فَإِنَّهُ يَجْلسُ عَلى عَرْشِ مَجْدِه) ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ (٢٤) بغض النظر عن سوء الترجمة وجهل المترجم في تعبيره عن استواء الله بالجلوس ، وكذلك قول راوي الإنجيل ، (ثُمَّ يَقُولُ المَلِكُ للذِينَ عَنْ يَمِينِه) ، ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ (٢٥) (ثُمَّ يَقُولُ للذِينَ عَنْ يَسَارِهِ ابْتَعِدُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ) ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾ (٢٦) .

وأيضا قول راوي الإنجيل (لأَنِّي جُعْتُ فَلمْ تُطْعِمُونِي كُنْتُ .. مَرِيضاً .. فَلمْ تَزُورُونِي .. مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً .. أَوْ مَرِيضاً .. وَلَمْ نَخْدِمْكَ ؟ .. بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلكَ بِأَحَدِ إِخْوَتِي

(٢٢) إنجيل متى الإصحاح ٢٥/٣١:٤٦ .
(٢٣) الفجر:٢٢ .
(٢٤) الحاقة:١٧/١٨ .
(٢٥) الواقعة:٢٧/٤٤ .
(٢٦) الواقعة:٢٧/٤٤ .

.. فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا) وما ورد في السنة (يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَال يَا رَبِّ : كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالِمِينَ ؟ قَال : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لوْ عُدْتَهُ لوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ) ، لا شك أن من له عينان ، إذا استبعد ما طرأ على النصوص من تحريف ، يري المنطقين في هذه المواضع متطابقين ، ولا فرق بينهما إلا من حيث بلاغة الصياغة في القرآن ودقة اللفظ النبوي وحسن التعبير والبيان .

النص الثالث : لا يمكن لأحد أن يكون عبدا لسيدين .

ضرب الله مثلا لعبد يمتلكه شركاء مختلفون ، وآخر يمتلكه سيد واحد ، الشركاء يتجاذبونه ويكلفونه ويطالبونه بأشياء متعددة في آن واحد تشبه المتناقضات ، وهو في حيرة من أمره وقلبه في شتات ، هل يستوي مع من كان خالصا لسيد واحد ليس لغيره عليه سبيل أو سلطان ؟ فهذا مثل من أشرك بالله ، فعبد الهوى والدرهم والدينار وسار في ركب الشيطان ، ومن أفرد الله بالعبادة والمحبة في الراحة والاطمئنان [٢٧] ، قال الله تعالى :

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [٢٨] .

فانظر كيف ورد هذا المثل في الإنجيل كدليل من دلائل النبوة وصدق ما جاء في التنزيل ففي إنجيل متى : ((لاَ يُمْكِنُ لأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لسَيِّدَيْنِ ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ أَحَدَهُمَا فَيُحِبَّ الآخَرَ ، وَإِمَّا أَنْ يَلزَمَ أَحَدَهُمَا فَيَهْجُرَ الآخَرَ ، لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَكُونُوا عَبِيداً للهِ وَالمَال مَعا)) [٢٩] ، وفي إنجيل لوقا : ((مَا مِنْ خَادِمٍ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لسَيِّدَيْنِ ، فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ أَحَدَهُمَا فَيُحِبَّ الآخَرَ ، وَإِمَّا أَنْ يَلتَحِقَ بِأَحَدِهِمَا فَيَهْجُرَ الآخَرَ ، لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَكُونُوا عَبِيداً للهِ وَالمَال مَعاً)) [٣٠] .

فلينظر من له عينان : المثلان متطابقان ولا فرق بينهما إلا من حيث بلاغة الصياغة في القرآن ودقة الألفاظ وحسن البيان .

---

(٢٧) انظر بتصرف : الثعالبي : عبد الرحمن بن محمد ، جواهر الحسان ، بيروت ، مؤسسة العالمي ٥٦/٤ ، والسيوطي : جلال الدين ، الدر المنثور ، بيروت ، دار الفكر ٢٢٤/٧ .

(٢٨) الزمر:٢٩ .

(٢٩) إنجيل متى الإصحاح ١٣/٦ .

(٣٠) إنجيل لوقا الإصحاح ١٣/١٦.

النص الرابع : الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة .

ضرب الله مثلا للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة ، أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها وتعطي ثمرها بإرادة الله في كل حين ، فهذه الشجرة مثل المؤمن الذي نطق بالحق ودعا بالصدق وعمل عملا صالحا ، فإنه يثمر كل حين خيرا لنفسه ولغيره .

ومثل الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة عروقها قريبة فوق الأرض ما لها من قرار فهي سريعة الزوال والاستئصال ، ثمرها رديء وطعمها مر ، فمثل هذه الشجرة مثل الكافر الذي يشرك بالله ويعبد هواه ، فهو يثمر في كل حين شرا لنفسه ولغيره (٣١) .

هذا المثل ورد في القرآن بأدق الكلمات وأبلغ العبارات فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٣٢) .

وقد ورد المثل أيضا في الأناجيل كدليل على نبوة محمد ﷺ ، وشاهد ملزم للنصارى بالإسلام ، ففي إنجيل متى ورد هذا النص :

((هَكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَراً جَيِّداً ، أَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيئَةُ فَإِنَّهَا تُثْمِرُ ثَمَراً رَدِيئاً لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُثْمِرَ الشَّجَرَةُ الجَيِّدَةُ ثَمَراً رَدِيئاً وَلاَ الشَّجَرَةُ الرَّدِيئَةُ ثَمَراً جَيِّداً وَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تُثْمِرُ ثَمَراً جَيِّداً ، تُقْطَعُ وَتُطْرَحُ فِي النَّارِ ، إِذَنْ مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ)) (٣٣) .

النص الخامس : ضرب الأمثال ؟

يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ، ولا يستحي أن يضرب مثلا ما حتى لو كان لبعوضة أو أقل منها ، فالتمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وإبرازه للذهن في صورة محسوسة ، وذلك يساعد العقل على الفهم ويزيل عن الإدراك الوهم وقد ورد في الأناجيل أن تلاميذ عيسى عليه السلام سألوه : لماذا تكثر من ضرب الأمثال ؟

---

(٣١) القرطبى : ١٣٧٢هـ ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق أحمد البردونى ، القاهرة ، دار الشعب ٣٥٩/٩ .

(٣٢) إبراهيم:٢٦/٢٤ .

(٣٣) إنجيل متى الإصحاح السابع ٢٠:١٧ .

فبين لهم أن علم الله واسع يفيض بما يبين لهم حقيقة الغيبيات وأسرار ملكوت السماوات والناس ليسوا سواء في الإدراك ، فهناك من ينظر ولا يبصر ويسمع ولا يفهم ، وهناك من قلبه مغلق مختوم يفتقر إلى قيام الحجة ودلالة اللزوم .

ففي إنجيل متى يقول الكاتب : ((فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلاَمِيذُ وَسَأَلُوهُ : لِمَاذَا تُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ ؟ فَأَجَابَ : لأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ ، أَمَّا أُولئِكَ فَلَمْ يُعْطَ لَهُمْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ مَنْ عِنْدَهُ يُعْطَى المَزِيدَ فَيَفِيضُ وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ فَحَتَّى الذِي عِنْدَهُ يُنْتَزَعُ مِنْهُ لِهَذَا السَّبَبِ أُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ ، فَهُمْ يَنْظُرُونَ دُونَ أَنْ يُبْصِرُوا وَيَسْمَعُونَ دُونَ أَنْ يَسْمَعُوا أَوْ يَفْهَمُوا فَفِيهِمْ قَدْ تَمَّتْ نُبُوءَةُ إِشَعْيَاءَ حَيْثُ يَقُولُ : سَمْعاً تَسْمَعُونَ وَلاَ تَفْهَمُونَ ، وَنَظَراً تَنْظُرُونَ وَلاَ تُبْصِرُونَ ، لأَنَّ قَلبَ هَذَا الشَّعْبِ قَدْ صَارَ غَلِيظاً ، وَصَارَتْ آذَانُهُمْ ثَقِيلَةَ السَّمْعِ ، وَأَغْمَضُوا عُيُونَهُمْ لئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِم ، وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ ، وَيَرْجِعُوا إِلَيَّ فَأَشْفِيَهُمْ ! وَأَمَّا أَنْتُمْ فَطُوبَى لعُيُونِكُمْ لأَنَّهَا تُبْصِرُ ، وَلآذَانِكُمْ لأَنَّهَا تَسْمَعُ ، فَالحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ : كَمْ تَمَنَّى أَنْبِيَاءُ وَأَبْرَارٌ كَثِيرُونَ أَنْ يَرَوْا مَا تُبْصِرُونَ وَلَمْ يَرَوْا ، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا !)) (٣٤) .

أما ما جاء في التنزيل ونطق به النبي الأمي دون أن يسمع أو يرى الإنجيل ، فالمقارنة بينه وبين ما تقدم لا تتطلب سوى مجر النظر والتأمل ، قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٣٥) ، قارن بين قولهم لعيسى عليه السلام : لِمَاذَا تُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ ؟ ، وقول الكافرين في آية البقرة : مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلا ؟ وانظر أيضا قوله تعالى : ﴿ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٣٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ

(٣٤) إنجيل متى الإصحاح الثالث عشر ١٠:١٧.
(٣٥) البقرة:٢٦ .
(٣٦) إبراهيم:٢٦ .

أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (٣٧) ، وقوله الله عز وجل : ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ (٣٨) .

النص السادس : هل يمر الجمل من ثقب إبرة ؟

إن لم يتصف الغنى بالتواضع فإن جبال الكبر تنمو في قلبه وتتكاثر حتى يعرض عن الحق ويكذبه ، وهذه غالبا صفة المكذبين من عِلْية القوم وسادة الملأ ، وقد علق الله عز وجل دخول هؤلاء الجنة على مستحيل ، ومعلوم أن تعليق أمر ما على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٣٩) .

يقول ابن جرير في تفسير الآية : ((ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها الجنة التي أعدها الله لأوليائه المؤمنين أبدا كما لا يلج الجمل في سم الخياط أبدا وذلك ثقب الإبرة ، وكل ثقب في عين أو أنف أو غير ذلك ، فإن العرب تسميه سما وتجمعه سموما وسماما ومن السم الذي بمعنى الثقب قول الفرزدق :

فنفست عن سميه حتى تنفسا : وقلت له لا تخش شيئا وراءنا

يعني بسميه ثقبي أنفه ، وأما الخياط فإنه المخيط وهي الإبرة قيل لها خياط ومخيط)) (٤٠) .

وانظر إلى هذا المثل المبني على استحالة دخول الجنة كما يستحيل دخول الجمل في ثقب إبرة ، وقارنه بما ورد في إنجيل متى وما ورد في شأن الغنى الكافر ، حيث يحكي الكاتب عن عيسى عليه السلام أنه قال : ((مَا أَصْعَبَ دُخُول الأَغْنِيَاءِ إِلى مَلكُوتِ اللهِ ! فَإِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ فِي ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَسْهَلُ مِنْ دُخُول غَنِيٍّ إِلى مَلكُوتِ اللهِ)) (٤١) .

سبحان الله ، جمل ، وثقب إبرة ، واستحالة دخول الجمل في ثقب الإبرة ، تصور أن واحدا من هؤلاء قرأ هذا النص في الإنجيل ، ثم سمع الآية القرآنية في المذياع ، أتراه ينكر

---

(٣٧) الأعراف:١٧٩ .

(٣٨) الأعراف:١٩٨ .

(٣٩) الأعراف:٤٠ .

(٤٠) ابن جرير ، الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، ١٧٨/٨ .

(٤١) إنجيل متى الإصحاح التاسع عشر ٢٣:٢٦ .

نبوة محمد أم أنه يعرفه كما يعرف ولده ؟ ، والنص لم يرد في إنجيل متى فقط بل ورد في إنجيل مرقس إذ يقول :

((مَا أَصْعَبَ دُخُولَ الأَغْنِيَاءِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ ! فَدُهِشَ التَّلاَمِيذُ لِهَذَا الْكَلاَمِ ، فَعَادَ يَسُوعُ يَقُولُ لَهُمْ : يَا بَنِيَّ ، مَا أَصْعَبَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الْمَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ ! فَأَسْهَلُ أَنْ يَدْخُلَ الْجَمَلُ فِي ثَقْبِ إِبْرَةٍ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ الْغَنِيُّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ ، فَدُهِلُوا إِلَى الْغَايَةِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : وَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُصَ ؟)) (٤٢) .

النص السابع : البناء وحجر الزاوية .

روى البخاري من حديث أبى هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا ، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ، قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ) (٤٣) .

شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت ، واللبنة المشار إليها كانت في أس الدار في زاوية من زواياها ، وكل الناس يتمنى وضعها حتى يكتمل البناء ولا ينهار ، ففي الحديث دلالة على أن محمدا صلى الله عليه وسلم ختم الله به المرسلين وأكمل به شرائع الدين (٤٤) .

فكل نبي شكل لبنة في بناء النبوة ، ومحمد ﷺ وأمته آخر لبنة في هذا البناء ، وهذا الحديث يكشف لنا المراد بالمثل الذي ضربه عيسى عليه السلام في الإنجيل ، وكيف يؤكد صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال متى :

((فَقَال لَهُمْ يَسُوع ُ: أَلَمْ تَقْرَأُوا فِي الكِتَابِ ، الحَجَرُ الذِي رَفَضَهُ البُنَاةُ هُوَ نَفْسُهُ صَارَ حَجَرَ الزَّاوِيَةِ الأَسَاسِيَّ ، مِنَ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَنْظَارِنَا ! لذلكَ أَقُولُ لكُم إِنَّ

(٤٢) إنجيل مرقس الإصحاح العاشر ٢٣:٢٧ .

(٤٣) أخرجه البخاري في المناقب برقم (٣٥٣٥) .

(٤٤) ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي الشافعي ١٣٧٩هـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، بيروت دار المعرفة ٥٥٩/٦ .

مَلكُوتَ اللهِ سَيُنْزَعُ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَيُسَلمُ إِلى شَعْبٍ يُؤَدِّي ثَمَرَهُ ، فَأَيُّ مَنْ يَقَعُ عَلى هَذَا الحَجَرِ يَتَكَسَّرُ وَمَنْ يَقَعُ الحَجَرُ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ سَحْقاً !)) (٤٥) .

ولعل تفسير المثل في إنجيل لوقا أبين وأوضح ، فقد بين لهم عيسى عليه السلام كما حكى لوقا أن الله أرسل رسلا إلى أرضه التي استخلف الناس فيها يطالبونهم بالإيمان والتوحيد ، وفي كل مرة يكذبون الرسل أو يقتلون الأنبياء إلى أن أرسل الله إليهم عيسى عليه السلام ، وهو المذكور في المثل من وجهة نظر كاتب الإنجيل أنه ابن الله ، فقتلوه ، فأهلكهم الله وأورث الأرض لغيرهم وجعلهم أمة عظيمة ، وهو كما ذُكر الحجر الذي رفضه البناة ، والمقصود به أمة الإسلام ونبيها صلى الله عليه وسلم ، قال لوقا في إنجيله حكاية عن عيسى عليه السلام :

((غَرَسَ إِنْسَانٌ كَرْماً وَسَلَّمَهُ إِلَى مُزَارِعِينَ وَسَافَرَ مُدَّةً طَوِيلَةً ، وَفِي مَوْسِمِ الْقِطَافِ أَرْسَلَ إِلَى الْمُزَارِعِينَ عَبْداً لِكَيْ يُعْطُوهُ مِنْ ثَمَرِ الْكَرْمِ ، وَلكِنَّ الْمُزَارِعِينَ ضَرَبُوهُ وَرَدُّوهُ فَارِغَ الْيَدَيْنِ ، فَعَادَ وَأَرْسَلَ عَبْداً آخَرَ إِلاَّ أَنَّهُمْ ضَرَبُوهُ أَيْضاً وَأَهَانُوهُ وَرَدُّوهُ فَارِغَ الْيَدَيْنِ ، ثُمَّ عَادَ وَأَرْسَلَ عَبْداً ثَالِثاً فَجَرَّحُوهُ وَطَرَحُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ ، فَقَالَ رَبُّ الْكَرْمِ: مَاذَا أَفْعَلُ؟ سَأُرْسِلُ ابْنِي الْحَبِيبَ لَعَلَّهُمْ يَهَابُونَهُ ! وَلكِنْ مَا إِنْ رَآهُ الْمُزَارِعُونَ حَتَّى تَشَاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ : هَذَا هُوَ الْوَرِيثُ ، فَلْنَقْتُلْهُ لِيَصِيرَ الْمِيرَاثُ لَنَا فَطَرَحُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ ، فَمَاذَا إِذَنْ يَفْعَلُ رَبُّ الْكَرْمِ بِهِمْ ؟ إِنَّهُ يَأْتِي وَيُهْلِكُ أُولئِكَ الْمُزَارِعِينَ وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى غَيْرِهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذلِكَ قَالُوا : حَاشَا ! ، وَلكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ : إِذَنْ مَا مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ الْمَكْتُوبَةِ : الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبُنَاةُ هُوَ نَفْسُهُ صَارَ حَجَرَ الزَّاوِيَةِ ، مَنْ يَقَعُ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ يَتَكَسَّرُ ، وَمَنْ يَقَعُ الْحَجَرُ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ سَحْقاً)) (٤٦) .

النص الثامن : تفاوت الناس في الانتفاع بهداية الله .

ضرب النبي ﷺ مثلا لما جاء به من الدين بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه فكما أن الغيث يحيى الأرض الميتة وتظهر فيها الأشجار والأنهار فكذلك علوم الدين التي جاء بها الوحي تحي القلب الميت وتظهر فيها شجرة الإيمان .

ثم شبه ﷺ السامعين له المستجيبين لأمره على اختلاف أنواعهم ، بانتفاع لأرض بالمطر على اختلاف أماكنها ، فمنهم العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت

(٤٥) إنجيل متى الإصحاح ٢١/٤٢:٤٤ ، وقد ورد هذا المثل في جميع الأناجيل .

(٤٦) إنجيل لوقا ، الإصحاح ٢٠/٩:١٨ .

في نفسها وانبتت فنفعت غيرها ، ومنهم الجامع للعلم لكنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به ، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها ، هذا المثل ورد في حديث أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ :

(مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) (٤٧) .

عند النظر في هذا المثل نجد الفكرة واضحة في ذكر الماء والبذور والأرض والتفاوت في إنباتها الزرع ، كذلك كلام الله وتفاوت الناس في الاستجابة له ، وهذا كله مصاغ بصياغة نبوية وكلام من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي ، فانظر إلى هذا المثل كيف ورد في الإنجيل ؟ فيحكى كاتب الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال :

((هَا إِنَّ الزَّارِعَ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ ، وَبَيْنَمَا هُوَ يَزْرَعُ وَقَعَ بَعْضُ البِذَارِ عَلى المَمَرَّات ، فَجَاءَتِ الطُّيُورُ وَالتَهَمَتْهُ ، وَوَقَعَ بَعْضُهُ عَلى أَرْضٍ صَخْرِيَّةٍ رَقِيقَةِ التُّرْبَةِ فَطَلَعَ سَرِيعاً لأَنَّ تُرْبَتَهُ لَمْ تَكُنْ عَمِيقَةً ، وَلكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ وَيَبِسَ لأَنَّهُ كَانَ بِلاَ أَصْلٍ وَوَقَعَ بَعْضُ البِذَارِ بَيْنَ الأَشْوَاكِ فَطَلَعَ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ ، وَبَعْضُ البِذَارِ وَقَعَ فِي الأَرْضِ الجَيِّدَةِ فَأَثْمَرَ بَعْضُهُ مِئَةَ ضِعْفٍ ، وَبَعْضُهُ سِتِّينَ ، وَبَعْضُهُ ثَلاَثِينَ ، مَنْ لهُ أُذُنَانِ فَلْيَسْمَعْ !

أَلَمْ تَفْهَمُوا هَذَا الْمَثَلَ ؟ فَكَيْفَ تَفْهَمُونَ جَمِيعَ الأَمْثَالِ الأُخْرَى ؟ إِنَّ الزَّارِعَ يَزْرَعُ كَلِمَةَ اللهِ ، وَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ عَلَى الْمَمَرَّاتِ حَيْثُ تُزْرَعُ الْكَلِمَةُ ، هُمُ الَّذِينَ حَالَمَا يَسْمَعُونَ يَأْتِي الشَّيْطَانُ وَيَخْطَفُ الْكَلِمَةَ الَّتِي زُرِعَتْ فِيهِمْ ، وَكَذلِكَ هؤُلاَءِ الَّذِينَ تُزْرَعُ فِيهِمِ الكَلِمَةُ عَلَى أَرْضٍ صَخْرِيَّةٍ ، وَهُمُ الَّذِينَ حَالَمَا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ يَقْبَلُونَهَا بِفَرَحٍ ، وَلاَ أَصْلَ لَهُمْ فِي ذَوَاتِهِمْ ، وَإِنَّمَا هُمْ إِلَى حِينٍ ، فَحَالَمَا يَحْدُثُ ضِيقٌ أَوِ اضْطِهَادٌ مِنْ أَجْلِ الْكَلِمَةِ يَتَعَثَّرُونَ .

(٤٧) أخرجه البخاري في كتاب العلم برقم (٧٩) .

وَالآخَرُونَ الَّذِينَ تُزْرَعُ فِيهِمِ الْكَلِمَةُ بَيْنَ الأَشْوَاكِ، هَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا الْكَلِمَةَ ، وَلَكِنَّ هُمُومَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ وَخِدَاعَ الْغِنَى وَاشْتِهَاءَ الأُمُورِ الأُخْرَى تَدْخُلُ إِلَيْهِمْ وَتَخْنُقُ الْكَلِمَةَ فَتَصِيرُ بِلاَ ثَمَرٍ ، وَأَمَّا الَّذِينَ تُزْرَعُ فِيهِمِ الْكَلِمَةُ فِي الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَهَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ وَيَقْبَلُونَهَا فَيُثْمِرُونَ ، بَعْضُهُمْ ثَلاَثِينَ ضِعْفاً ، وَبَعْضُهُمْ سِتِّينَ ، وَبَعْضُهُمْ مِئَةً)) (٤٨) .

النص التاسع : كيف يصير الآخرون أوَّلين ؟

ورد في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ : (نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَاخْتَلَفُوا فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ) (٤٩) .

وقد ضرب النبي ﷺ مثلا في كون أمته تسبق الأمم الأخرى فمن حديث عبد الله بن عمر ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : (إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا ، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلاَةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ، ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ ، فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَأُعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ : أَيْ رَبَّنَا أَعْطَيْتَ هَؤُلاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ ، وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ، وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ؟ قَالُوا : لا ، قَالَ : فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ) (٥٠) .

ذكر ابن حجر العسقلاني رحمه الله أن ظاهر المثل أن الله تعالى قال لليهود آمنوا بى وبرسلي إلى يوم القيامة ، فآمنوا بموسى ﷺ إلى أن بعث عيسى ﷺ ، فكفروا به ، وذلك في قدر نصف المدة التي من مبعث موسى ﷺ إلى قيام الساعة ، وكذلك القول في النصارى آمنوا بموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وكفروا بمحمد ﷺ إلا أن فيه إشارة إلى أن مدتهم كانت قدر نصف المدة ، فاقتصروا على نحو الربع من جميع النهار ، أما المسلمون فآمنوا بموسى وعيسى ومحمد ﷺ وجميع الرسل (٥١) .

---

(٤٨) إنجيل لوقا الإصحاح الثامن ١٥:٤ .

(٤٩) أخرجه مسلم في الجمعة برقم (٨٥٥) .

(٥٠) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة برقم (٥٥٧) .

(٥١) ابن حجر ، فتح الباري ٤٤٨/٤ .

ولننظر الآن كيف يكون الآخِرُونَ أَوَّلينَ في إنجيل متى حيث يحكي عن عيسى عليه السلام أنه قال : ((فَإِنَّ مَلكُوتَ السَّمَاوَاتِ يُشبَّهُ بِإِنْسَانٍ رَبِّ بَيْتٍ خَرَجَ فِي الصَّبَاحِ البَاكِرِ لِيَسْتَأْجِرَ عُمَّالاً لكَرْمِه ِ، وَاتَّفَقَ مَعَ العُمَّال عَلى أَنْ يَدْفَعَ لكُلٍّ مِنْهُمْ دِينَاراً فِي اليَوْمِ ، وَأَرْسَلهُمْ إِلى كَرْمِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَبَاحاً فَلقِيَ فِي سَاحَةِ المَدِينَةِ عُمَّالاً آخَرِينَ بِلاَ عَمَلٍ .

فَقَال لهُمْ : اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضاً وَاعْمَلُوا فِي كَرْمِي فَأُعْطِيَكُمْ مَا يَحِقُّ لكُمْ ! فَذَهَبُوا ، ثُمَّ خَرَجَ إِلى السَّاحَةِ أَيْضاً نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ ظُهْراً ، ثُمَّ نَحْوَ الثَّالثَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ ، أَرْسَل مَزِيداً مِنَ العُمَّال إِلى كَرْمِهِ ، وَنَحْوَ السَّاعَةِ الخَامِسَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ ، خَرَجَ أَيْضاً فَلقِيَ عُمَّالاً آخَرِينَ بِلاَ عَمَلٍ فَسَأَلهُمْ : لمَاذَا تَقِفُونَ هُنَا طُول النَّهَارِ بِلاَ عَمَلٍ ؟

أَجَابُوهُ : لأَنَّهُ لمْ يَسْتَأْجِرْنَا أَحَدٌ ، فَقَال : اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضاً إِلى كَرْمِي ! وَعِنْدَمَا حَل المَسَاءُ قَال رَبُّ الكَرْمِ لوَكِيلِهِ : ادْعُ العُمَّال وَادْفَعِ الأُجْرَةَ مُبْتَدِئاً بِالآخِرِينَ وَمُنْتَهِياً إِلى الأَوَّلينَ ، فَجَاءَ الذِينَ عَمِلُوا مِنَ السَّاعَةِ الخَامِسَةِ وَأَخَذَ كُلٌّ مِنْهُمْ دِينَاراً ، فَلمَّا جَاءَ الأَوَّلُونَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ سَيَأْخُذُونَ أَكْثَرَ ، وَلكِنَّ كُل وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَال دِينَاراً وَاحِداً ، وَفِيمَا هُمْ يَقْبِضُونَ الدِّينَارَ تَذَمَّرُوا عَلى رَبِّ البَيْت قَائِلينَ :

هَؤُلاَءِ الآخِرُونَ عَمِلُوا سَاعَةً وَاحِدَةً فَقَطْ ، وَأَنْتَ قَدْ سَاوَيْتَهُمْ بِنَا نَحْنُ الذِينَ عَمِلنَا طُول النَّهَارِ تَحْتَ حَرِّ الشَّمْسِ ! فَأَجَابَ وَاحِداً مِنْهُمْ :

يَا صَاحِبِي ، أَنَا مَا ظَلمْتُكَ ، أَلمْ تَتَّفِقْ مَعِي عَلى دِينَارٍ ؟ خُذْ مَا هُوَ لكَ وَامْضِ فِي سَبِيلكَ ، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ هَذَا الأَخِيرَ مِثْلكَ ، أَمَا يَحِقُّ لي أَنْ أَتَصَرَّفَ بِمَالي كَمَا أُرِيدُ؟ أَمْ أَنَّ عَيْنَكَ شِرِّيرَةٌ لأَنَّنِي أَنَا صَالحٌ ؟ فَهَكَذَا يَصِيرُ الآخِرُونَ أَوَّلينَ وَالأَوَّلُونَ آخِرِينَ)) (٥٢) .

النص العاشر : إجابة الدعاء .

الدعاء من أشرف أنواع العبادة ، وقد تكفل الله بإجابة الدعوة الخالية عن الإثم والعدوان وقطيعة الأرحام ، إما بإعطاء السؤال معجلا أو مثله من الخير مؤجلا ، أو يصرف عن السائل من السوء مثل ذلك ، قال تعالى :

(٥٢) إنجيل متى ١٦:١/٢٠ .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (٥٣) ، وقال أيضا : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٥٤) ، ومن حديث أبى سعيد الخدري ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ ، إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا ، قَالُوا : إِذًا نُكْثِرُ ؟ قَالَ : اللَّهُ أَكْثَرُ) (٥٥) .

هذا بعض ما ورد عن الدعاء وفضله في القرآن والسنة ، فماذا ورد في الإنجيل ؟ يحكي متى عن عيسى عليه السلام أنه قال :

((اِسْأَلُوا تُعْطَوْا ، اُطْلُبُوا تَجِدُوا ، اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لكُمْ ، فَكُلُّ مَنْ يَسْأَل يَنَل وَمَنْ يَطْلُبْ يَجِدْ وَمَنْ يَقْرَعْ يُفْتَحْ لهُ ، وَإِلاَّ فَأَيُّ إِنْسَان مِنْكُمْ يَطْلُبُ مِنْهُ ابْنُهُ خُبْزاً فَيُعْطِيهِ حَجَراً ، أَوْ سَمَكَةً فَيُعْطِيهِ حَيَّةً ؟ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً ، فَكَمْ بِالأَحْرَى حِدّاً يُعْطِي أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ عَطَايَا جَيِّدَةً للذِينَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ ؟)) (٥٦) .

هذه بعض الأمثلة التي تدل يقينا على نبوة المصطفي ﷺ ، فالذي يسمع هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المصاغة بمنتهي البلاغة اللغوية ، وهو يعلم أنه ورد ذكرها والإشارة إليها في النصوص الإنجيلية يدرك أن ما أنزل ذلك إلا رب السماوات والأرض بصائر للناظرين ، هذا بالإضافة إلى الوجوه الأخرى التي فصلت وصف النبي ﷺ في كتب الأديان .

---

(٥٣) البقرة:١٨٦ .

(٥٤) غافر:٦٠ .

(٥٥) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٠٧٤٩) والحاكم في المستدرك ٦٧٠/١ .

(٥٦) إنجيل متى الإصحاح السابع ١١:٧ .

المبحث الثاني

أثر معرفة النبي ﷺ على النصارى المنصفين

ضرورة الوحي الإلهي للإنسان :

إن قصور إدراكات الإنسان عن تصور صلاحه يجعل الموضوعات التي يطرحها في تصور الحقائق والضروريات مهما بلغت من الكمال متواضعة فقيرة ، ومن ثم كانت الفطرة الإنسانية مهيأة لاستقبال المناهج الإلهية ، حيث وضع الله في رسالاته أسس الكمال اللازم لقيادة الإنسانية إلى ما يصلحها .

وإذا كان العقلاء يعلمون ويقرون بالضرورة أن صانع الشيء يضع دليلا مرفقا لشرح الخصائص المميزة ، وتوضيح التعليمات الموجزة التي تمكن الإنسان من توجيه صنعته ، ولو حدث تلف للصنعة نتيجة الالتزام بالنظام أو خلل في بعض عوامل الأمان ، فإن الصانع هو الوحيد المسئول عن الضمان ، وإعادة الثقة والاطمئنان لكل العملاء ، ولما كان صانع الشيء هو أولى من يبين خصائص المنتجات ، ويشرح للآخرين نظام المصنوعات ، فإن من العقل والحكمة أن يرجع الإنسان إلى صانعه وخالقه في كل صغيرة وكبيرة ، فهو الوحيد الذي يمكن أن يفسر لنا وجود المخلوقات ، ويوضح النظم العامة لجميع الكائنات ، ويبين لنا العلل والمعلولات ويرشدنا إلى أسباب السعادة في الدنيا والآخرة .

ولذلك تتابعت الرسل تترى تقود الإنسان عبر مختلف الأزمان إلى صلاحه في الدنيا وفلاحه في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (٥٧) .

(٥٧) النساء:١٦٣/١٦٥ .

ومعلوم أن الكلام المباشر مع الله تعالى ممتنع لأن الوحي قد انقطع بموت الأنبياء ، ومن ثم لم يبق لدينا إلا رسالة رب السماء للتعرف على كلام الحق وتوجيه الخلق إلى صلاحهم ، وأبرز الرسالات الإلهية التي بقيت حتى الآن هي ما أنزل على موسى وعيسى ومحمد عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام .

توثيق المصادر السماوية .

غير أن السؤال الذي يطرح نفسه على العقلاء ، هو السؤال عن توثيق المصادر السماوية ومدى ثبوتها ، والتأكد بالفعل أن هذه الرسالة التي بين أيدينا والمنسوبة إلى نبي من الأنبياء هي بعينها التي نزلت من السماء ، وأن ما فيها هو كلام الله حقا وصدقا ، فهل التوراة الموجودة بأيدي اليهود حاليا هي التي نزلت على موسى عليه السلام ؟

تشير الدلائل إلى أن التوراة كتبت في ألواح نزلت من السماء وأن الله كتبها بيده وهذه ميزة فضل الله بها التوراة على غيرها من الكتب السماوية ، وقد ورد النص بذكر هذه الألواح في القرآن والسنة ، فمن القرآن قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (٥٨) ، وقوله : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ ﴾ (٥٩) .

وقوله : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (٦٠) .

ومن السنة من حديث أبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى ، فَقَالَ مُوسَى : يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ : أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وكَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى) (٦١) .

---

(٥٨) الأعراف:١٤٥ .

(٥٩) الأعراف:١٥٠ .

(٦٠) الأعراف:١٥٤ .

(٦١) أخرجه مسلم في القدر (٢٦٥٢) .

وكذلك ورد ذكر الألواح والنص على وجودها في العهد القديم في عدة مواضع كقول كاتب التوراة : ((وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى : اصْعَدْ إِلَى الْجَبَلِ وَامْكُثْ هُنَاكَ لأُعْطِيَكَ الْوَصَايَا وَالشَّرَائِعَ الَّتِي كَتَبْتُهَا عَلَى لَوْحَيِ الْحَجَرِ لِتُلَقِّنَهَا لَهُمْ)) (٦٢) ، وكما ورد أيضا في التوراة : ((وَسَلَّمَنِي الرَّبُّ لَوْحَيِ الْحَجَرِ الْمَكْتُوبَيْنِ بِأَصْبَعِ اللهِ ، حَيْثُ خَطَّ عَلَيْهِمَا جَمِيعَ الْوَصَايَا الَّتِي كَلَّمَكُمْ بِهَا الرَّبُّ فِي الْجَبَلِ مِنْ وَسَطِ النَّارِ فِي يَوْمِ الاجْتِمَاعِ ، وَحِينَ أَعْطَانِي الرَّبُّ لَوْحَيْ حَجَرِ الْعَهْدِ فِي نِهَايَةِ الأَرْبَعِينَ نَهَاراً وَالأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، قَالَ لِي الرَّبُّ : قُمْ وَأَسْرِعْ بِالنُّزُولِ مِنْ هُنَا)) (٦٣) .

وقد بينت التوراة الموجودة بأيدي اليهود والنصارى الآن أن موسى ﷺ كسر اللوحين عندما وجد قومه قد عبدوا العجل : ((وَمَا إِنِ اقْتَرَبَ مُوسَى مِنَ الْمُخَيَّمِ وَشَاهَدَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ حَتَّى احْتَدَمَ غَضَبُهُ وَأَلْقَى بِاللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدِهِ وَكَسَّرَهُمَا عِنْدَ سَفْحِ الْجَبَلِ)) (٦٤) .

وتذكر التوراة أيضا أن الرب أمر موسى ﷺ أن ينحت لوحين من حجر مثل الأولين حتى يكتب الرب عليهما الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين : ((ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى انْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلَ اللَّوْحَيْنِ الأَوَّلَيْنِ ، فَأَكْتُبَ أَنَا عَلَيْهِمَا الْكَلِمَاتِ الَّتِي دَوَّنْتُهَا عَلَى اللَّوْحَيْنِ الأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَسَرْتَهُمَا ، وَتَأَهَّبْ فِي الصَّبَاحِ ثُمَّ اصْعَدْ إِلَى جَبَلِ سِينَاءَ وَامْثُلْ أَمَامِي هُنَاكَ عَلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ وَلاَ يَصْعَدْ مَعَكَ أَحَدٌ وَلاَ يُشَاهَدْ عَلَى الْجَبَلِ إِنْسَانٌ وَلاَ تَرْعَ الْغَنَمُ أَيْضاً وَالْبَقَرُ بِاتِّجَاهِ هَذَا الْجَبَلِ ، فَنَحَتَ مُوسَى لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مُمَاثِلَيْنِ لِلأَوَّلَيْنِ ، وَبَكَّرَ فِي الصَّبَاحِ ، وَصَعِدَ إِلَى جَبَلِ سِينَاءَ حَسَبَ أَمْرِ الرَّب)) (٦٥) ، وكثير من النصوص الأخرى التي تدل جملة وتفصيلا على وجود ألواح كتبت بيد الله عز وجل ، والسؤال الآن أين هذه الألواح التي نزلت من السماء وتسلمها موسى ﷺ عند جبل الطور بسيناء ؟

لن نخوض في المسألة كثيرا فقد كتب في ذلك الكثير من المؤلفات ، لكن ما نؤكده أن التوراة الموجودة الآن باعتراف اليهود ليست هي ألواح موسى ﷺ ، وأنها كتبت بعد موته بقرون طويلة على مراحل متعددة ، والأدلة قائمة على أن التوراة التي كتبها أحبار بنى

(٦٢) سفر الخروج ١٢/٢٤ .
(٦٣) سفر الخروج ١٣:١٠/٣٤ .
(٦٤) سفر الخروج ٢٠/٣٢ .
(٦٥) سفر الخروج ٤:١/٣٤ .

إسرائيل عبر تاريخهم الطويل تعرضت للتغيير والتبديل ، كما قال تعالى : ﴿ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾ (٦٦) .

غير أنها تحوى من المعاني الصحيحة والأحكام الصريحة ما يتوافق مع الفطرة السليمة والشريعة المستقيمة ، وقد بقيت تلك الآثار إلى عهد النبي ﷺ ، فقد ثبت في السنة المطهرة أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ وَامْرَأَةٍ قَدْ زَنَيَا ، فَقَالَ لَهُمْ : كَيْفَ تَفْعَلُونَ بِمَنْ زَنَى مِنْكُمْ ؟

قَالُوا : نُحَمِّمُهُمَا وَنَضْرِبُهُمَا ، فَقَالَ : لا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ الرَّجْمَ ؟ فَقَالُوا : لا نَجِدُ فِيهَا شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ : كَذَبْتُمْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَوَضَعَ مِدْرَاسُهَا الَّذِي يُدَرِّسُهَا مِنْهُمْ كَفَّهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ ، فَطَفِقَ يَقْرَأُ مَا دُونَ يَدِهِ وَمَا وَرَاءَهَا وَلا يَقْرَأُ آيَةَ الرَّجْمِ ، فَنَزَعَ يَدَهُ عَنْ آيَةِ الرَّجْمِ فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا : هِيَ آيَةُ الرَّجْمِ ، فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا قَرِيبًا مِنْ حَيْثُ مَوْضِعُ الْجَنَائِزِ عِنْدَ الْمَسْجِدِ ، فَرَأَيْتُ صَاحِبَهَا يَحْنِي عَلَيْهَا يَقِيهَا الْحِجَارَةَ) (٦٧) .

أما الأناجيل الموجودة اليوم إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، فهل هي كلام الله الذي أوحاه إلى رسوله عيسى عليه السلام ؟ أم هي حكاية عن حياته وسرد لقصة وفاته ؟ وأين نسخة الإنجيل الأصلية التي نزلت على عيسى عليه السلام أو أملاها للحواريين ؟ وهل سمع أصحاب الأناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا هذه الأناجيل من عيسى عليه السلام سماعا مباشرا ؟ أم وصل إليهم الإنجيل كسند متصل بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة ؟ ورد في مقدمة إنجيل لوقا عن السبب في كتابته هذا الإنجيل حيث قال : ((لَمَّا كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَقْدَمُوا عَلَى تَدْوِينِ قِصَّةٍ فِي الأَحْدَاثِ الَّتِي تَمَّتْ بَيْنَنَا كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا أُولئِكَ الَّذِينَ كَانُوا مِنَ الْبَدَايَةِ شُهُودَ عِيَانٍ ثُمَّ صَارُوا خُدَّاماً لِلْكَلِمَةِ ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضاً بَعْدَمَا تَفَحَّصْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ تَفَحُّصاً دَقِيقاً أَنْ أَكْتُبَهَا إِلَيْكَ مُرَتَّبَةً أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثاوُفِيلُسَ لِتَتَأَكَّدَ لَكَ صِحَّةُ الْكَلاَمِ الَّذِي تَلَقَّيْتَهُ)) (٦٨) .

---

(٦٦) النساء:٤٦ .

(٦٧) أخرجه البخاري في تفسير القرآن (٤٥٥٦) .

(٦٨) انجيل لوقا ، الإصحاح الأول ١:٤ .

فالنص يشعر القارئ بأن صاحبه يكتب قصة عن المسيح عليه السلام سوف يبعث بها كرسالة إلى عزيز لديه ، وفي مقدمة إنجيل متى : ((هَذَا سِجِلُّ نَسَبِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ ، إِبْرَاهِيمُ أَنْجَبَ إِسْحقَ وَإِسْحقُ أَنْجَبَ يَعْقُوبَ وَيَعْقُوبُ أَنْجَبَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ وَيَهُوذَا أَنْجَبَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ وَفَارِصُ أَنْجَبَ حَصْرُونَ ... إلى قوله : وَمَتَّانُ أَنْجَبَ يَعْقُوبَ وَيَعْقُوبُ أَنْجَبَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ ، فَجُمْلَةُ الأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً)) (٦٩) ، ويستحيل من سياق النص أن يكون عيسى عليه السلام هو من نطق بهذا الكلام وسرد للناس نسبه بمثل هذه الصياغة ! وفي مقدمة إنجيل يوحنا :

((فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ هُوَ اللهُ هُوَ كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ بِهِ تَكَوَّنَ كُلُّ شَيْءٍ ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَتَكَوَّنْ أَيُّ شَيْءٍ مِمَّا تَكَوَّنَ ، فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ هَذِهِ كَانَتِ نُورَ النَّاسِ ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظَّلاَمِ وَالظَّلاَمُ لَمْ يُدْرِكْ النُّور)) (٧٠) .

وفي مقدمة إنجيل مرقس : ((هَذِهِ بَدَايَةُ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللهِ كَمَا كُتِبَ فِي كِتَابِ إِشَعْيَاءَ ، هَا أَنَا أُرْسِلُ قُدَّامَكَ رَسُولِي الَّذِي يُعِدُّ لَكَ الطَّرِيقَ ، صَوْتُ مُنَادٍ فِي الْبَرِّيَّةِ أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ وَاجْعَلُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً فَقَدْ ظَهَرَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ فِي الْبَرِّيَّةِ يُنَادِي بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُ مِنْطَقَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَأَهْلُ أُورُشَلِيمَ جَمِيعاً ، فَكَانُوا يَتَعَمَّدُونَ عَلَى يَدِهِ فِي نَهْرِ الأُرْدُنِّ مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ)) (٧١) .

وهذه النصوص تدل على صدق ما ذكره القرطبي في أن هذا الكتاب الذي بأيدي النصارى اليوم ليس هو الإنجيل الذي قال الله فيه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ ﴾ (٧٢) .

لأن هذا الكتاب قد توافق النصارى على أنه إنما تلقى عن اثنين من الحواريين وهما متاؤوش ويوحنا ، وعن اثنين من تلاميذ الحواريين وهما ماركش ولوقا ، وأن عيسى عليه السلام لم يشافههم بكتاب مكتوب عن الله كما فعل موسى عليه السلام ، ولكن لما رفع الله عيسى عليه السلام إليه

(٦٩) انجيل متى ، الإصحاح الأول ١:١٦ .
(٧٠) انجيل يوحنا ، الإصحاح الأول ١:٥ .
(٧١) انجيل مرقس ، الإصحاح الأول ١:٣ .
(٧٢) آل عمران:٣/٢ .

تفرق الحواريون في البلاد والأقاليم كما أمرهم عيسى عليه السلام ، فكان منهم من كتب بعض سيرة عيسى وبعض معجزاته وبعض أحواله حسب ما تذكر وما يسر الله عليه فيه ، فربما توارد الأربعة على شيء واحد فحدثوا به وربما انفرد بعضهم بزيادة معنى ، وكذلك كثيرا ما يوجد بينهم من اختلاف مساق وتناقض بين قولين وزيادة ونقصان وهذا واضح من المقارنة بينها (٧٣) .

وعلى الرغم من ذلك فإن ما ذكر في المبحث الأول يشهد بأن كتاب الأناجيل التي بأيدي النصارى اليوم نقلوا فيها من النصوص ما يدل يقينا على أن النصارى يعرفون محمدا كما يعرفون أبناءهم ، وفيها أيضا آثار من الحق تشهد بصدق ما جاء في القرآن والسنة ، فما بالنا بدلالة الإنجيل الكامل الذي نزل على عيسي عليه السلام في وصف محمد ﷺ وتصديق دعوته !

أما القرآن الكريم فيقول عنه المستشرق الفرنسي موريس بوكاى : ((صحة النص القرآني المنزل على محمد لا تقبل الجدل وتعطى النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل ، ولا يشترك مع نص القرآن في هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد ، وسبب ذلك أن القرآن قد دون في عصر النبي ، ولم يتعرض النص القرآني لأي تحريف من يوم أن أنزل على الرسول حتى يومنا هذا)) (٧٤) .

لقد اتخذ الرسول ﷺ كتَّابا للوحي كان يملى عليهم ما جاءه من كلام الله ويأمرهم بكتابة ما ينزل من القرآن أولا بأول ، وهؤلاء الكتاب معروفون بالاسم فردا فردا ، ويمكن للقارئ أن ينظر تفصيل ذلك في علوم القرآن عند المسلمين ، هذا بالإضافة إلى حفظ أعداد كبيرة من أصحاب الرسول ﷺ للقرآن كله كلمة كلمة ، وهم أيضا معروفون بالاسم فردا فردا ، ثم بعد وفاة الرسول ﷺ منذ أربعة عشر قرنا أمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو من خيار الصحابة وصهر رسول الله ﷺ وخليفة المسلمين ، أن تكتب عدة نسخ من

---

(٧٣) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح ، ١٣٩٨هـ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام ، تحقيق د. أحمد حجازي السقا ، القاهرة ، دار التراث العربي ص٢٠٣ بتصرف .

(٧٤) بوكاى : موريس ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ١٩٩٠م ، ترجمة حسن خالد ، بيروت ، المكتب الإسلامى ص١٥١ ، ونحيل القارئ إلى ما كتبه هذا المستشرق في كتابه ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ١٩٧٧م ، لبنان دار المعارف .

القرآن فكتبت وهي بذاتها موجودة إلى الآن ، ويمكن للقارئ أن يطلع على بعضها في المدينة المنورة وفي مكة المكرمة وبعض البلاد الإسلامية الأخرى ، وعليها طبع القرآن وانتشرت نسخه في كل مكان (٧٥) .

وقد ميز الله القرآن عن سائر ما سبق من الرسالات بأنه النص الوحيد في العالم حتى عصرنا الحاضر الذي يقرأ بنفس أسلوب الوحي الأول بإعجاز تركيبه وبلاغة كلماته كنظم معجز يتحدى العالم أجمع أن يأتوا بمثله ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (٧٦) ، وقال أيضا : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٧٧) .

كما ميز الله القرآن أيضا بأن تكفل بحفظه وبقائه إلى يوم القيامة دون تحريف أو تبديل وذلك من خلال أمرين اثنين :

الأمر الأول : أن الله عز وجل حفظه قرآنا يتلى ومنهجا ثابتا لا يتغير فهيأ الأسباب لحفظ القرآن والسنة على الدوام ، فقال في حفظ منهجه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٧٨) ، فالمسلمون يكتشفون مواقع التغيير في القرآن إذا حدثت سهوا أو عمدا بتلقائية عجيبة ، فلا

---

(٧٥) انظر المزيد عن كيفية تدوين القرآن وجهود أبى بكر وعثمان بن عفان رضى الله عنهما للحفاظ عليه : الذهبى ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، ١٤١٣هـ ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ٤٤١/٢ ، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، ١٤٠٤هـ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ٢٧/١ وما بعدها ، والقنوجى ، صديق حسن ، ١٩٧٨م ، وابن النديم ، محمد بن اسحاق ، ١٩٧٨م ، الفهرست ، بيروت دار المعرفة ٣٦/٢ وما بعدها ، والزركشى محمد بن بهادر بن عبد الله ، ١٣٩١هـ ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق د . محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت دار المعرفة ص٢٣٤ وما بعدها ، والدانى : أبو عمرو ، ١٤٠٨ هـ ، الأحرف السبعة للقرآن ، تحقيق د . عبد المهيمن طحان ، مكة المكرمة مكتبة المنارة ص٢٠ وما بعدها ، الكرمى ، مرعى بن يوسف ، ١٤٠٠هـ ، قلائد المرجان ، تحقيق سامى عطا حسن ، الكويت دار القرآن الكريم وما بعدها ص٢٣٥ ، والزهرى ابن شهاب ، ١٩٨٠م ، كتاب تنزيل القرآن ، تحقيق دكتور صلاح الدين المنجد ، بيروت دار الكتاب الحديثة ص٢٣ وما بعدها .

(٧٦) الإسراء:٨٨ .

(٧٧) يونس:٣٨ .

(٧٨) الحجر:٩ .

يستطيع أحد في العالم أن يدرج فيه حرفا واحدا أو كلمة واحدة أو تشكيلا مخالفا لما هو عليه الآن وإلا قامت الدنيا ولم تقعد ، قال أبو بكر السرخسى :

((ومعلوم أنه ليس المراد بحفظ الذكر الحفظ لديه ، فإن الله تعالى يتعالى من أن يوصف بالنسيان والغفلة ، فعرفنا أن المراد الحفظ لدينا فالغفلة والنسيان متوهم منا وبه ينعدم الحفظ إلا أن يحفظه الله عز وجل)) (٧٩) .

وقال الذهبي : ((أما القرآن العظيم سوره وآياته فمتواتر ولله الحمد محفوظ من الله تعالى لا يستطيع أحد أن يبدله ولا يزيد فيه آية ولا جملة مستقلة ولو فعل ذلك أحد عمدا لا نسلخ من الدين)) (٨٠) .

وقد ذكر الله تعالى أن كلام نبيه ﷺ كله وحي ، والوحي بلا خوف ذكر ، والذكر محفوظ بنص القرآن ، فصح بذلك أن كلامه ﷺ كله محفوظ بحفظ الله عز وجل مضمون لنا أنه لا يضيع منه شيء ، إذ ما حفظ الله تعالى فهو باليقين لا سبيل إلى أن يضيع منه شيء فهو منقول إلينا كله (٨١) .

وفي حفظ السنة تميزت الأمة الإسلامية في براعة نادرة بالأسانيد ووضع قواعدها التي تميز بين المقبول والمردود والصحيح والضعيف مما نسب إلى رسول الله ﷺ ، وهو ما عرف بعلم مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل الذي يعد من خصائص الفكر الإسلامي ، قال العلامة ابن منده عن فضل علماء الحديث الذين حفظوا بالأسانيد سنة النبي صلى الله عليه وسلم : ((هم أئمة الدين وحفاظه .. وإليهم انتهي علم الأسانيد وبهم تلزم الحجة على من خالفهم ، ويقبل انفرادهم إذ كانوا المقدمين في عصرهم ، لمعرفتهم بما جاء عن الرسول ﷺ ثم عن الصحابة بعده وعن التابعين ومن بعدهم بإحسان رضي الله عنهم)) (٨٢) ، فالذين اشتغلوا بتصحيح نقل الناقلين ومعرفة المسند من المتصل ، والمرسل من المنقطع والثابت من المعلول ، والعدل من المجروح ، والمصيب من المخطئ ، والزائد من الناقص ، هم حفاظ العلم

(٧٩) السرخسي : أبو محمد بن أحمد ١٣٧٢هـ ، أصول السرخسي تحقيق أبى الوفا الأفغاني ، بيروت دار المعرفة ٢/٧٩ .

(٨٠) الذهبى ، ١٤١٣هـ ، سير أعلام النبلاء ١٠/١٧١ .

(٨١) الآمدى الإحكام ١/٩٥ .

(٨٢) ابن منده ، محمد بن اسحاق ، ١٤١٤هـ ، فضل الأخبار تحقيق عبد الرحمن الفريوائى ، الرياض دار المسلم٢/٢٩ .

والدين ، النافون عنه تحريف غال ، وتدليس مدلس ، وانتحال مبطل ، وتأويل جاحد ، ومكيدة ملحد (٨٣) .

ويكفي للتدليل على مكانة علم الحديث وخدمة القرآن عند المسلمين ، أن ينظر القارئ نظرة عابرة إلى تراثهم في المكتبة الإسلامية ، من علوم قائمة على خدمة القرآن والسنة وخصوصا ما ظهر من البرامج الحديثة والمتطورة التي يستخدم فيها الكمبيوتر (٨٤) .

الأمر الثاني : أن الله حفظ الإسلام واقعا مرئيا بوجود من يطبقه على نفسه على مر السنين وهؤلاء هم حجة الله على غيرهم من المنحرفين ، فقد يدعى أحدهم أن منهج القرآن منهج مثالي لا يصلح في هذا الزمان ، أو يمكن أن يطبق في مكان دون آخر ، ومن ثم تكفل الله بوجود من يطبق منهج الحق على نفسه في واقعية مستمرة إلى يوم القيامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ) (٨٥) ، أما النصارى وغيرهم من أهل الكتاب فلم يلتزموا بما بأيدهم من النصوص التي يزعمون أنها من كلام أنبيائهم وواقعهم العملي بعيد عن ذلك خاصة في هذا العصر .

قصة النجاشي والآثار التربوية لمعرفة النبي ﷺ .

ورد في القرآن الكريم وصف لبعض النصارى بين الله عز و جل فيه أنموذجا يحتذي به في معرفة الحق واتباعه ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ

(٨٣) ابن منده ، ١٤١٤هـ ٢/٢٩ .

(٨٤) انظر على سبيل المثال ، الموسوعة الذهبية التى أصدرتها دار التراث لأبحاث الحاسب الآلى ، وكذلك المكتبة الألفية وغيرها من الموسوعات العلمية ، وانظر الموسوعات العلمية للقرآن والحديث والفقه التى أصدرتها شركة صخر لإنتاج البرمجيات ، وكذلك الموسوعة الحديثية الضخمة لشركة العريس وغير ذلك .

(٨٥) أخرجه مسلم عن ثوبان في كتاب الإمارة برقم (١٩٢٠) ، وانظر تعليق النووى على الحديث في الديباج للسيوطى ، تحقيق أبى اسحاق الحوينى ٤/٥١٢ .

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ (٨٦) .

كان لمعرفة الحق لدى كثير من النصارى انعكاسا سلوكيا إيجابيا غير لديهم مجرى الحياة ، وانقلبت عقيدتهم إلى الإيمان بعد الشرك بالله ، والمثل الذي يقدم هنا لبيان الأثر السلوكي لمعرفة النبي محمد ﷺ ، ليس لشخص عادى ولكنه لملك قوى يسلم بإسلامه أمة من قومه .

لما عرف النجاشي وصف النبي ﷺ انتصر للحق ، ولم تمنعه عزة الملك من المكابرة والثبات على دينه ، فمن حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت عن النجاشي :

(ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ ، اجْتَمَعُوا ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ ؟ قَالُوا : نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلَّمَنَا ، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ ، فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأَلَهُمْ فَقَالَ : مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَمِ ؟

قَالَتْ : فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولا مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ ، نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ ، قَالَت : فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإِسْلامِ ، قال : فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا ، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا ، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ

(٨٦) المائدة : ٨٢/٨٥ .

دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ .

قَالَتْ : فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ ، فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ كهيعص ، قَالَتْ : فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ : إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ ، انْطَلِقَا فَوَاللَّهِ لا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَلا أُكَادُ ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : وَاللَّهِ لأُنَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ .

قَالَتْ : فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا : لا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا ، قَالَ : وَاللَّهِ لأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ ، قَالَتْ : ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلا عَظِيمًا ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ ؟ قَالَتْ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ ، قَالَتْ : وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ ؟ قَالُوا : نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ : مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ .

قَالَتْ : فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ثُمَّ قَالَ : مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ ، فَقَالَ : وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي ، وَالسُّيُومُ الآمِنُونَ ، مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلا مِنْكُمْ ، وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْجَبَلُ رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا ، فَلا حَاجَةَ لَنَا بِهَا ، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ ، تقول أم سلمة رضي الله عنها عن

وفد قريش : فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ) (٨٧) .

وروى الطبراني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه في قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ (٨٨) ، قال إنهم كانوا كرابين يعنى فلاحين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم القرآن آمنوا وفاضت أعينهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم عن دينكم ؟ فقالوا : لن ننتقل عن ديننا فأنزل الله عز وجل ذلك من قولهم (٨٩) .

فالقرآن الكريم الذي جاء به محمد ﷺ عطاؤه متجدد ، ولا تنقضي عجائبه ، فهو يعطي لكل جيل على حسب طاقته ، ولكل فرد على قدر فهمه وعقليته ، ويعطي للجيل القادم شيئا جديدا لم يعطه للجيل الذي سبقه ، وكما أن معجزة القرآن كانت ولا تزال بلاغية وبيانية ولغوية ، وتعجز من يحسن إجادة العربية ، فإنها اليوم معجزة علمية تشمل البشرية بأسرها .

إن القرآن الكريم قد أكد الحقائق العلمية التي سوف تظهر بعد نزوله بآلاف السنين ، بحيث إذا قرأه العالم المعاصر المتسلح بأحدث نظريات العلوم وقوانينها واكتشافاتها ، يجده قد أشار إليها إشارات واضحة ، يعز صرفها إلى غير هذه المفاهيم الجديدة المكتشفة ، فالقرآن ومعجزته العلمية التي يتحدى بها العالم المعاصر كأنه يتنزل اليوم مواكبا لطبيعة العصر ، بل ومتجاوزا لإمكانياته الحالية والمستقبلية في هذا الجانب ، فعظمة المعجزة القرآنية التي خاطبت عرب الجاهلية فأعجزتهم تقف اليوم لتحدث أصحاب العلوم المختلفة ، كعلم الفلك والفضاء ، والطبيعة والأحياء ، والفيزياء النووية والكونية ، والهندسة الوراثية والحيوية ، بل وكل العلوم والنظريات والقوانين ، تقف بلغة تعجزهم بنفس قوة الإعجاز البلاغي للعرب

---

(٨٧) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢١٩٩٢) وإسناده قوي كما قال شعيب الأرناؤوط في هامش سير أعلام النبلاء ٤٣٤/١ .

(٨٨) المائدة : ٨٣ .

(٨٩) معجم الطبراني الكبير (١٤٣٠٤٥) ٥٥/١٢ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨/٧رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه العباس بن الفضل الأنصاري وهو ضعيف ، قلت : ولهذا الحديث طريق بنحوه في الصلاة على الغائب ومناقب النجاشي.

الفصحاء ، شعراء كانوا أو وخطباء ، إن خالق الكون هو الذي يتحدث عن كونه ، فهو الذي يعلم ما خلق ومن خلق ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٩٠) .

وقد التقى العلم المعاصر في إجابته مع ما قاله القرآن الذي نزل على محمد ﷺ منذ قرابة ألف وأربعمائة سنة لقاءا مباشرا ، فمعجزة القرآن معجزة مستمرة ، ولو أن القرآن نزل في هذا العصر لما تغيَّر فيه شيء لأنه لكل زمان ومكان ، وإنسان اليوم لا يختلف في تكوينه ونزواته وغرائزه عن إنسان الأمس ، سواء كان نصرانيا أو يهوديا أو ملحدا لا يدين بدين ، إذا ظهر له الحق فإنه يزلزل لبه ويسلب قلبه سواء ظهر تأثير ذلك إيجابا أو سلبا في سلوك البدن .

عندما اكتشف الميكروسكوب المكبر أو المجهر في نهاية القرن السابع ، مع أن المجهر كان صغيرا في ذلك الوقت ، تصوروا بعد أن شاهدوا الحيوانات المنوية ، أن الإنسان بذرة مثل الشجرة الصغيرة ، فتصوروا أنه مختزل في الحبة المنوية ، فرسم له العلماء صورة وتخيلوا أن الإنسان يوجد كاملا في النطفة المنوية غير أنه ينمو .

ومنذ قرابة الستين عاما تأكدوا من أن الإنسان لا يوجد إنسان دفعة واحدة ، وإنما يمر بأطوار ومراحل ، طورا بعد طور ومرحلة بعد مرحلة وشكلا بعد شكل ، وصل العلم إلى إحدى الحقائق القرآنية ، قال الشيخ الزنداني : (التقينا مرة مع أحد الأساتذة الأمريكان ، بروفيسور أمريكي من أكبر علماء أمريكا اسمه بروفيسور مارشال جونسون ، فقلنا له : ذكر في القرآن أن الإنسان خلق أطوارا ، فلما سمع هذا كان قاعدا فوقف وقال : أطوارا ؟! قلنا له : وكان ذلك في القرن السابع الميلادي ! جاء هذا الكتاب ليقول : الإنسان خلق أطوارا !! فقال : هذا غير ممكن ، غير ممكن ، قلنا له : لماذا تحكم عليه بهذا ؟ هذا الكتاب يقول : (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثلاث) ، ويقول : (مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) .

فقعد بروفيسور مارشال جونسون على الكرسي وهو يقول : بعد أن تأمل الأمر : أنا عندي الجواب : ليس هناك إلا ثلاث احتمالات :

---

(٩٠) الملك:١٤.

الأول : أن يكون عند محمد ميكروسكوبات ضخمة ، تمكن بها من دراسة هذه الأشياء وعلم بها ما لم يعلمه الناس فذكر هذا الكلام !.

الثاني : أن تكون وقعت صدفة ، أو هذه جاءت صدفة .

الثالث : أنه رسول من عند الله .

قلنا : أما القول بأنه كان عنده ميكروسكوب وآلات ، فأنت تعرف أن الميكروسكوب لم يظهر إلا بعد نزول القرآن ، كما أنه من الصعب القول بأن ذلك صدفة فقال : هذا صحيح صعب أن نقول صدفة ، فقلنا له : ما رأيك لو قلنا إنه لم يذكر القرآن هذه الحقيقة في آية واحدة فقط بل ذكرها في آيات ، ولم يذكرها في آية وآيات إجمالا بل أخذ يفصل كل طور ، الطور الأول يحدث فيه وفيه ، والطور الثاني كذا وكذا والطور الثالث ، أيكون هذا صدفة ؟!فلما عرضنا التفاصيل والأطوار ، وما في كل طور قال : الصدفة كلام غلط !! هذا علم مقصود ، قلنا : ما في تفسير عندك : قال : لا تفسير إلا وحي من فوق ! (٩١) :

وهذا أشهر علماء وكالة ناسا الأمريكية للفضاء وهو نصراني الملة ،صرح في أحد مؤتمرات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بأنه اكتشف بالتجربة والأبحاث الكثيرة على معادن الأرض والأبحاث المعملية أن الحديد هو المعدن الوحيد الذي يحير العلماء ، حيث يتطلب بناؤه طاقة هائلة تبلغ مقدار مجموع الطاقة الموجودة في مجموعتنا الشمسية أربع مرات حتى تتحد الالكترونات والنيترونات وتكون ذرة واحدة من الحديد ، ولذلك فلا يمكن أن يكون الحديد قد تكون على الأرض ولابد أنه عنصر غريب وافد إلى الأرض ، ولم يتكون فيها أبدا ، وبين أن هذه الحقيقة نص عليها القرآن منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، حيث قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٩٢) .

---

(٩١) انظر ، الشيخ عبد المجيد الزنداني ، العلم طريق الإيمان ص ١٣١ ، وانظر المزيد فيمن أسلموا بسبب معرفتهم لصدق النبي محمد : الموصلي ، سامي أحمد ، ٢٠٠١م ، الإعجاز العلمي في القرآن ، دار النفائس ، أبو اليسر ، محمد عابدين ، ١٩٩٩م ، الإيجاز في آيات الأعجاز ، دار البشائر ، الديلمي ، أحمد عامر ، ٢٠٠١م ، المياه في القرآن ، منهاج لتفسير الإشارات العلمية في الآيات القرآنية ، دار النفائس ، عبد الصمد ، محمد كامل ، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية .

(٩٢) الحديد:٢٥ ، وانظر العلم طريق الإيمان ص ١٥٠.

الخاتمـــــــــــة

نظرا لهذا التشابه الواضح بين ما ذكر من نصوص الإنجيل في المبحث الأول ، وبين نصوص التنزيل قرآنا كان أو سنة ، فإن بعض عوام النصارى ربما يزعم أن ذلك دليل على أن محمدا ﷺ أخذ القرآن من التوراة والإنجيل ، وصاغه بلغته العربية على هذا الإبداع الجميل وهذه الشبهة ليست جديدة ، فكثير من النصارى زعم أن محمدا ﷺ لقي بحيرة الراهب فأخذ عنه وتعلم منه ، وهذه المعارف التي في القرآن هي ثمرة هذا التلقي من هذا الراهب ، وجواب ذلك من وجوه عديدة يتمثل أبرزها فيما يلي :

أولا : أنها دعوى مجردة من الدليل خالية من التحديد والتعيين ومثل هذه الدعاوى لا تقبل ما دامت غير مدللة ، وإلا فليخبرونا ما الذي سمعه محمد ﷺ من بحيرة الراهب أو غيره ؟ ومتى كان ذلك وأين كان ؟

ثانيا : أن التاريخ لا يعرف أكثر من أنه ﷺ سافر إلى الشام في تجارة مرتين ، مرة في طفولته ومرة في شبابه ، ولم يسافر غير هاتين المرتين ، ولم يجاوز سوق البصرة فيهما ، ولم يسمع من بحيرة ولا من غيره شيئا من الدين ، ولم يك أمره سرا هناك ، بل كان معه شاهد في المرة الأولى وهو عمه أبو طالب ، وشاهد في الثانية وهو ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها التي خرج الرسول ﷺ بتجارتها أيامئذ ، وكل ما هنالك أن بحيرة الراهب رأى سحابة تظلله من الشمس ، فذكر لعمه أنه سيكون لهذا الغلام شأن عظيم ، ثم حذره عليه من اليهود ، وقد رجع به عمه خوفا عليه ، ولم تتم رحلته .

ثالثا : أن تلك الروايات التاريخية نفسها تحيل أن يقف هذا الراهب أو غيره موقف المعلم المرشد لمحمد ﷺ ، لأنه بشره أو بشر عمه بنبوته ، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التي يزفها ثم ينصب نفسه أستاذا لصاحبها الذي سيأخذ عن الله ويتلقى عن جبريل عليه السلام ويكون هو أستاذ الأساتذة وهادي الهداة والمرشدين وإلا كان هذا الراهب متناقضا مع نفسه .

رابعا : أن بحيرة الراهب لو كان مصدر هذا الفيض الإسلامي المعجز من قرآن أو سنة ، لكان هو الأخرى بالنبوة والرسالة والانتداب لهذا الأمر العظيم .

خامسا : أنه يستحيل في مجرى العادة أن يتم إنسان على وجه الأرض تعليمه وثقافته ، ثم ينضج النضج الخارق للمعهود فيما تعلم وتثقف ، بحيث يصبح أستاذ العالم كله لمجرد أنه لقي مصادفة واتفاقا راهبا من الرهبان مرتين ، على حين أن التلميذ كان في كلتا المرتين مشتغلا عن التعليم بالتجارة ، وكان أميا لا يعرف القراءة والكتابة وكان صغيرا تابعا لعمه في المرة الأولى ، وكان حاملا لأمانة ثقيلة في عنقه ، لا بد أن يؤديها كاملة في المرة الثانية ، وهي أمانة العمل والإخلاص في مال خديجة وتجارتها .

سادسا : أن طبيعة النصرانية التي ينتمي إليها الراهب بحيرة تأبى أن تكون مصدرا للقرآن وهداياته ، خصوصا بعد أن أصاب ذلك الدين ما أصابه من تغيير وتبديل ، وحسبك أدلة على ذلك ما تقدم في الفصل الأول من توثيق المصادر السماوية لدى اليهودية والنصرانية والإسلام ، كما أن القرآن قد صور علوم أهل الكتاب في زمانه بأنها الجهالات ثم تصدى لتصحيحها ، وصور عقائدهم بأنها الضلالات ثم عمل على تقويمها ، وصور أعمالهم بأنها المخازي والمنكرات ثم حض على تركها ، ففاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه ، والخطأ لا يمكن أن يكون مصدرا للصواب ، وكذلك الظلام لا يمكن أن يكون مشرقا للنور .

سابعا : أن أصحاب هذه الشبهة من الملاحدة يقولون : إن القرآن هو الأثر التاريخي الوحيد الذي يمثل روح عصره أصدق تمثيل ، فإذا كانوا صادقين في هذه الكلمة ، فإننا نحاكمهم في هذه الشبهة إلى القرآن نفسه ، وندعوهم أن يقرؤوه ولو مرة واحدة بتعقل وإنصاف ، ليعرفوا منه كيف كانت الأديان وعلماؤها وكتابها في عصره ﷺ ؟ وليعلموا أنها ما كانت تصلح لأستاذية رشيدة ، بل كانت هي في أشد الحاجة إلى أستاذية رشيدة .

ثامنا : أن هذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة لفرح بها قومه من الكفار ، وقاموا لها وقعدوا لأنهم كانوا أعرف الناس

برسول الله ﷺ ، وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأي وسيلة ، لكنهم كانوا أكرم على أنفسهم من هؤلاء الملاحدة ، فحين أرادوا طعنه بأنه تعلم القرآن من غيره ، لم يفكروا بأن يقولوا إنه تعلم من بحيرة الراهب كما قال هؤلاء ، لأن العقل لا يصدق ذلك والهزل لا يسعه ، بل لجئوا إلى رجل حداد رومي منهمك بين مطرقته وسندانه

طول يومه في خبث الحديد وناره ودخانه ، غير أنه اجتمع فيه أمران حسبوهما بجهلهم علة لترويج تهمتهم .

أحدهما : أنه مقيم بمكة إقامة تيسر لمحمد ﷺ الاتصال الدائم الوثيق به والتلقي عنه .

والآخر : أنه غريب عنهم وليس منهم ، ليخيلوا إلى قومهم أن عند هذا الرجل علم ما لم يعلموا هم ولا آباؤهم ، فيكون ذلك أدنى إلى التصديق بأستاذيته لمحمد ﷺ .

وغاب عنهم أن الحق أبلج لا يزال نوره ساطعا يدل عليه ، لأن هذا الحداد الرومي أعجمي لا يحسن العربية ، فليس بمعقول أن يكون مصدرا لهذا القرآن الذي هو أبلغ نصوص العربية ، بل هو معجزة المعجزات ومفخرة العرب واللغة العربية ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٩٣) .

تاسعا : أن النبي ﷺ لما آتاه وفد نصارى نجران دعاهم إلي الدخول في الإسلام وأنكر عليهم عقيدتهم في الصلب والتثليث والقول بألوهية المسيح ، ولو كانت النصرانية مصدرا لما جاء به النبي ﷺ لنصر عقيدتهم ولما باهلهم ، فما جاء به من القرآن يمنع بأي صورة شبهة الأخذ عنهم قال تعالي في كتابه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ (٩٤) .

وقد روي في أسباب النزول أن رسول الله ﷺ لما أورد الدلائل على نصارى نجران ، ثم إنهم أصروا على جهلهم قال ﷺ: إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم ، فقالوا يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك ، فلما رجعوا قالوا لسيدهم وصاحب رأيهم : يا عبد المسيح ما ترى ؟

(٩٣) النحل:١٠٣ ، وانظر الزرقاني : ١٩٩٦م ، مناهل العرفان ، بيروت دار الفكر ص ٣٠٨ بتصرف .
(٩٤) آل عمران/٥٩:٦١.

قال : والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام الفصل من أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلتم لكان الاستئصال ، فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم .

فأتوا رسول الله ﷺ وقد خرج وعليه ﷺ مرط من شعر أسود وكان ﷺ قد احتضن الحسين ، وأخذ بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه ﷺ ، وعلي ﷺ خلفها وهو يقول : إذا دعوت فأمنوا ، فقال أسقف نجران : يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو دعت الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها ، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة ، ثم قالوا يا أبا القاسم : رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك ، فقال ﷺ : فإذا أبيتم المباهلة ، فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال ﷺ : فإني أناجزكم ، فقالوا : ما لنا بحرب العرب المسلمين طاقة ، ولكن نصالحك أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ، ألفا في صفر ، وألفا في رجب ، وثلاثين درعا عادية من حديد ، فصالحهم على ذلك .

قال ﷺ : والذي نفسي بيده ، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ، ولأُضطرم عليهم الوادي نارا ، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا (٩٥) .

عاشرا : إن الباحثين يقرون أن الأناجيل لم تترجم إلي اللغة العربية إلا بعد عصر النبوة بقرون ، فحتى القرن السادس من التقويم المسيحي حينما كان محمد ﷺ يرتل كلام الله الذي أوحى به إليه لم يكن الإنجيل قد ترجم بعد إلى اللغة العربية ، فكيف يطلع عليه وهو في الأصل أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، قال الشيخ أحمد ديدات : (حتى القرن السادس من التقويم المسيحي حينما كان محمد ﷺ يرتل كلام الله الذي أوحى به إليه لم يكن الإنجيل قد ترجم بعد إلى اللغة العربية ، ولم يكن يستطيع أن يعرف كبشر أنه كان ينجز ويحقق ما تفوه به سلفه عيسى عليه السلام إلى أبعد مدى ، لقد بشر الإنجيل برسولنا الأعظم ، فإذا نظرنا إلى اسمه وجدناهما يعنيان

(٩٥) المباركفوري : أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ٢٥٤/٨ .

أحمد ، ومحمد تعنى موضع الثناء والحمد ، وهي تترجم في اللغة اليونانية دائما بكلمة بيريكليتوس ، وإنجيل يوحنا حاليا في الآيات ١٤:١٦،١٦:٧،١٥:٢٦ يستخدم كلمة **COMFORTES** (معزي) من النسخة الإنجليزية كترجمة للكلمة اليونانية باراكليتوس ، والتي تعني شفيع أو مدافع ، وهو الشخص الذي يدعى لمساعدة آخر أو صديق رحيم أكثر مما تعنى معزى ، والأساتذة المتخصصون في اللاهوت يقولون : إن باراكليتوس هي تحريف في القراءة للكلمة الأصلية بيركليتوس ، وفي القول الأصلي ليسوع المسيح فيه تنبؤ لنبينا أحمد بالاسم ، وحتى لو قرأنا باراكليتوس فإنها تدل على النبي الكريم الذي كان رحيما بكل الخلائق) (٩٦) .

فالحقيقة التي لا شك فيها أن ما نزل على رسول الله ﷺ هو وحى معجز ينازع فيه الحاقدون الجاحدون ، وقد كشف الله تعالى شبههم وأدحض حججهم وبهتهم وقطعهم وفضحهم على رؤوس الأشهاد ، وبين عجزهم وكشف عورهم في جميع ما انتحلوا ، وقد تحداهم الله بأقوى تحد فقال : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (٩٧) .

فلما رأوا وجوه إيجازه وإعجازه ، ومبانيه الكاملة ومعانيه الشاملة وإخباره عن الأمم الماضية والغيوب المستقبلة ، والأحكام الواقعة ونبأ الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ، وغير ذلك على أكمل وجه وأوضح بيان وأعلى قصص وأعظم برهان ، علموا أنه ليس كلام المخلوقين ولا يشبه كلام المخلوقين ، وعلموا أنه الحق وإنما رموه بالإفك والبهتان بقولهم : كاهن شاعر مجنون وغير ذلك ، وحقيقة أمرهم أنهم يفترون الإثم مكابرة وعنادا وهم يعلمون بذلك ويعترفون بصدقه فيما بينهم (٩٨) .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (٩٩) ، وقد بين الله عز وجل أن أهل الكتاب ليسوا سواء ، فمنهم المؤمنون برسول الله ﷺ سواء أظهروا إيمانهم أو أخفوه ، ومنهم الجاحدون المؤثرون لمناصبهم

(٩٦) انظر محمد الحسيني : بشارة أحمد فى الإنجيل ، مناظرة بين مجموعة من القساوسة و علماء المسلمين ص ٢٣.
(٩٧) الإسراء:٨٨ .
(٩٨) الحكمي : معارج القبول ٢٨١/١ .
(٩٩) آل عمران:١٠ .

وسطوتهم على الناس ، قال تعالى : ﴿ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (١٠٠) .

انتهى

(١٠٠) آل عمران:١١٥ .

قائمة بأهم المراجع

١. ابن تيمية : أبو العباس الحراني أحمد بن عبد الحليم : ١٤١٤هـ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تحقيق دكتور علي حسن ناصر ، الرياض ، دار العاصمة .

٢. ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي ، ١٣٧٩هـ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، بيروت ، دار المعرفة .

٣. ابن القاسم : أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر ، انظر إعجاز القرآن ، ، تحقيق السيد أحمد صقر القاهرة دار المعارف .

٤. ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل الدمشقي ، ١٤٠١هـ ، تفسير القرآن العظيم ، بيروت ، دار الفكر .

٥. ابن منده : محمد بن اسحاق ، ١٤١٤هـ ، فضل الأخبار الأخبار وشرح مذهب أهل الآثار ، تحقيق عبد الرحمن الفريوائى ، الرياض دار المسلم .

٦. ابن النديم : محمد بن اسحاق ، ١٩٧٨م ، الفهرست ، بيروت دار المعرفة .

٧. أبو يسر : محمد عابدين ، ١٩٩٩م ، الإيجاز في آيات الأعجاز ، دار البشائر .

٨. بوكاى : موريس :

- ١٩٧٧م ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، لبنان دار المعارف .
- ١٩٩٠م التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة حسن خالد ، بيروت ، المكتب الإسلأمي .

٩. الثعالبي : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، جواهر الحسان ، بيروت ، مؤسسة العالمى للمطبوعات .

١٠. الدانى : أبو عمرو ، ١٤٠٨ هـ ، الأحرف السبعة للقرآن ، تحقيق دكتور عبد المهيمن طحان ، مكة المكرمة ، مكتبة المنارة .

١١. الذهبى ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز :

- ١٤٠٤هـ ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .
- ١٤١٣هـ ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

١٢. الزرقاني ، ١٩٩٦م ، مناهل العرفان ، بيروت ، دار الفكر .

١٣. الزركشى : محمد بن بهادر بن عبد الله ، ١٣٩١هـ ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق د . محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت دار المعرفة .

١٤. الزهري : ابن شهاب ، ١٩٨٠م ، كتاب تنزيل القرآن ، تحقيق دكتور صلاح الدين

المنجد ، بيروت ، دار الكتاب الحديث .
١٥. السرخسي : أبو محمد بن أحمد ، ١٣٧٢هـ ، أصول السرخسي ، تحقيق أبي الوفا الأفغاني ، بيروت دار المعرفة .
١٦. السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ١٤١٤هـ ، الدر المنثور ، بيروت ، دار الفكر .
١٧. شهاب الدين : أبو الفضل أحمد بن علي ، ١٩٩٧ ، العجاب في بيان الأسباب ، تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس ، الدمام ، دار ابن الجوزي .
١٨. الطبراني : أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ، معجم الطبراني الكبير ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، مراجعة حمدي بن عبد المجيد السلفي ، الموصل ، ١٩٨٣م-١٤٠٤هـ .
١٩. الطبرى : ابن جرير ، جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر ، طبعة دار المعارف ، القاهرة .
٢٠. عبد الصمد : محمد كامل ، الإعجاز العلمى في القرآن والسنة النبوية .
٢١. القرطبى : أبو عبد الله محمد بن أحمد :
- ١٣٧٢هـ ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق أحمد البردونى ، القاهرة ، دار الشعب .
- ١٣٩٨هـ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، تحقيق د. أحمد حجازي السقا القاهرة ، دار التراث العربي .

٢٢. الموصلى : سأمي أحمد ، ٢٠٠١م ، الإعجاز العلمي في القرآن ، دار النفائس .
٢٣. النسفي ، أبو البركات عبد الله ابن أحمد ، تفسير القرآن .
٢٤. الواحدى : أبو الحسن على بن أحمد ، ١٤١٥هـ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق صفوان عدنان داودى ، دمشق ، والدار الشامية .
٢٥. الكرمي : مرعى بن يوسف ، ١٤٠٠هـ ، قلائد المرجان ، تحقيق سأمي عطا حسن ، الكويت دار القرآن الكريم .
٢٦. الزنداني : الشيخ عبد المجيد ، العلم طريق الإيمان .

فهرست الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	٢
المبحث الأول : كيف يعرف نصارى اليوم محمداﷺ ؟	٥
❁ البيت المؤسس على الصخر	٦
❁ فضل من عاد مريضا أو أطعم مسكينا	٧
❁ لا يمكن لأحد أن يكون عبدا لسيدين	١٠
❁ الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة	١١
❁ ضرب الأمثال ؟	١١
❁ هل يمر الجمل من ثقب إبرة ؟	١٣
❁ البناء وحجر الزاوية	١٤
❁ تفاوت الناس في الانتفاع بهداية الله	١٥
❁ كيف يصير الآخرون أوَّلين ؟	١٧
❁ إجابة الدعاء	١٨
المبحث الثاني : أثر معرفة النبي ﷺ على النصارى المنصفين	٢٠
❁ ضرورة الوحي الإلهي للإنسان	٢٠
❁ توثيق المصادر السماوية	٢١
❁ قصة النجاشي وأثرها التربوي	٢٨
❁ أمثلة معاصرة وأثرها التربوي	٣١
❁ الخاتمة	٣٤
❁ شبهة وجوابها	٣٤
❁ قائمة المراجع	٤٠

******